

أضواء البيان

@ 189 @ قوله تعالى : { وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ نُنَزِّلَ الْإِنشَاءَ عَلَى كُتُبٍ شَدِيدَةٍ قَدِيرٍ } فدل سبحانه عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه ، على الإحياء الذي استبعدوه ، وذلك قياس إحياء على إحياء ، واعتبار الشيء فنظيره ، والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته ، وإحياء الأرض دليل العلة ، ومنه قوله تعالى : { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ } ومنه قوله تعالى : { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ } . . .

فدل بالنظير على النظير ، وقرب أحدهما من الآخر جداً بلفظ الإخراج ، أي يخرجون من الأرض أحياء كما يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومنه قوله تعالى : { أَلَيْسَ لِلْإِنسَانِ أَنْ يُتَذَكَّرَ سُوءَ أَلَمِ يَوْمِهِ } . . . نطفة مِّن مَّيِّتٍ يُمِيتُ ثُمَّ كَانَ عِلَاقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنَ الْمَنَظَرِ الْكَرَّ وَالْإِنشَاءَ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخْرِجَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ } فبين سبحانه كيفية الخلق واختلاف أحوال الماء في الرحم إلى أن صار منه الزوجان الذكر والأنثى ، وذلك أمانة وجود صانع قادر على ما يشاء ، ونبه سبحانه عباده بما أحدثه في النطفة المهينة الحقيمة من الأطوار ، وسوقها في مراتب الكمال ، من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها ، حتى صارت بشراً سوياً في أحسن خلقه وتقويم ، على أنه لا يحسن به أن يترك هذا البشر سدى مهملاً معطلاً . لا يأمره ولا ينهاه ، ولا يقيمه في عبوديته ، وقد ساقه في مراتب الكمال من حين كان نطفة إلى أن صار بشراً سوياً ، فكذلك يسوقه في مراتب كماله طبقاً ، وحالاً بل حال ، إلى أن يصير جاره في داره يتمتع بأنواع النعيم ، وينظر إلى وجهه ، ويسمع كلامه إلى آخر كلام ابن القيم رحمه الله تعالى ، فإنه أطال في ذكر الأمثلة على النحو المذكور ، ولم نذكر جميع كلامه خوفاً من الإطالة المملة ، وفيما ذكرنا من كلامه تنبيه على ما لم نذكره ، وقد تكلم على قياس الشبه فقال فيه : .

وأما قياس الشبه فلم يحكه الله سبحانه إلا عن المبطلين . فمنه قوله تعالى إخباراً عن إخوة يوسف أنهم قالوا لما وجدوا الصواع في رحل أخيه . { إِنَّ يَسْـُـرَقُ فَفَقَدُوْهُ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ } فلم يجمعوا بين الفرع والأصل بعلة ولا دليلها ، وإنما ألحقوا أحدهما بالآخر من غير دليل جامع سوى مجرد الشبه الجامع بينه وبين يوسف ، فقالوا هذا

مقيس على أخيه بينهما شبه من وجوه عديدة ، وذلك قد سرق فكذلك هذا ، وهذا هو الجمع
بالشبه الفارغ والقياس بالصورة المجردة عن العلة المقتضية للتساوي ، وهو قياس فاسد ،
والتساوي في قرابة الآخوة ليس بعلة للتساوي في السرقة لو كان حقاً ولا دليل على